

طبونيميات من قبيلة آيث ورياغل مقاربة لسانية، ومعجمية، وسوسiolسانية

الاستشهاد المرجعي:

أحمد العلاوي - عبد الكريم أحمجيق - محمد الطيبي

باحثون في التراث الثقافي واللغوي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بوجدة

أحمد العلاوي - عبد الكريم أحمجيق - محمد الطيبي، "طبونيميات من قبيلة آيث ورياغل مقارنة لسانية، ومعجمية، وسوسiolسانية". - مجلة توسنيوين - السنة الأولى - العدد الأول؛ يناير 2021. ص 29 - 45.

أهمية البحث في مجال الطبونيميا :

يعتبر موضوع الطبونيميا في منطقة الريف من اهم القضايا البحثية التي تستأثر باهتمام الباحث، لما تكتسيه من خصوصيات سواء على مستوى طبيعة المجال الذي تندرج ضمنه أو على مستوى السياقات التاريخية التي أفرزت ميلاد مجموعة من الأعلام الجغرافية الرسمية تختلف عن الأسماء المتداولة بين معظم السكان، ولهذه الاعتبارات كلها جاء اختيارنا لموضوع «طبونيمات من قبيلة آيث ورياغل- مقارنة معجمية، لسانية وسوسiolسانية».

ولم يكن اختيارنا لقبيلة آيث ورياغل كنموذج لهذه الدراسة اعتباطا، وإنما كانت له عدة حوافز موضوعية وذاتية، تتلخص الأولى في قلة البحوث المنجزة في هذا الإطار حيث ان جل الدراسات التي أنجزت في هذا الموضوع، تناولت الاعلام الجغرافية من مختلف مدن المغرب، ويتضح ذلك من خلال بعض العناوين التي اطلعنا عليها وذلك من قبيل: نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية لدكتور علي صدقي أزيكو، مدخل لدراسة المصطلح الجغرافي الأمازيغي في طبونيمات الجنوب المغربي لأحمد الهاشمي. كما أن هذه الدراسة تندرج ضمن الدراسات التي تخص اللسانيات الاجتماعية والتي تعتبر الأماكن الجغرافية وسطا اجتماعيا تعالج فيه التسمية كظاهرة لغوية.

خطة الدراسة :

تتضمن هذه الدراسة شقين؛ الأول يتضمن الإطار النظري، وذلك من خلال تسليط الضوء على بعض المفاهيم المرتبطة بالموضوع، والشق الثاني تطبيقي الذي تطرقنا فيه إلى دراسة بعض الطبونيمات من منطقة آيث ورياغل باعتماد المقاربة المعجمية واللسانية والمقاربة السوسiolسانية، وذلك بالاستناد إلى مراجع مختلفة، منها ما هو مكتوب؛ من معاجم، كتب، ومقالات، وكذا مقابلات شفوية.

مقدمة

المكان و«onyma» بمعنى الاسم وترجمة كلمة طوبونيميا تعني دراسة الأعلام الأماكنية التي يرتبط بها الإنسان، وتعتبر عن خصائص المحيط الذي يعيش فيه وتكون إما قصدية أو عفوية، فارتباط الإنسان كفرد أو جماعة بمكان معين تنشأ معه الحاجة على إطلاق أوصاف أسماء على الأماكن بالسكن أو الارتياح أو بالفكر والخيال، وهو بذلك يثبت وجوده في المكان ويعبر عن تملكه له وتحكمه فيه. لذلك فهو يعطي له قيمة بإطلاق العلم عليه وأكثر من ذلك يعطيه كناية بأعضاء جسده ويعبر فيه عن أفكاره ومعتقداته وهوأجسه. وهذه الأسماء تعطي قيمة للأماكن، وتعتبر الأماكنية من بين العلوم المتعددة الاختصاصات ولها علاقة وطيدة بالعلوم الأخرى وهي بمثابة علوم مساعدة لها ومن بينها علوم اللسانيات والتاريخ والعلوم الإنسانية والطبيعية¹.

ويتفرع علم الطوبونيميا إلى عدة فروع، ونذكر منها: هيدرونيما وهو علم يقوم بدراسة التسميات التي لها علاقة بالمجاري المائية. إضافة إلى الأودينيميا التي تهتم بدراسة المسالك والطرق. والأورونيميا؛ هذا الفرع الذي يهتم بدراسة تسميات الجبال.

من خلال هذه التعريفات يتبين أن علم الطوبونيميا علم ذو تفرعات عدة؛ يبحث كذلك عن معاني ودلالات الأماكن، وكذا الجانب الطبيعي الجغرافي المتعلق بالمرتفعات والتضاريس، المسالك الطرقية التقليدية منها والعصرية، والمغارات بالإضافة إلى التجمعات السكنية والدواوير... الخ، وكذا الجانب المتعلق بما هو بشري المرتكز في تعدد حقله الدلالية؛ الحقل الديني وحقل جسم الإنسان وحقل أسماء الأعلام البشرية.

الأبعاد المرتبطة بالطوبونيميا

• **البعد اللغوي:** إن التمكن من اللغة المنتمة للمجال المدروس يساهم في فك شفرة بعض أسماء الأماكن وفهم معانيها وإدراك مدلولها، وواجب التسلسل بهذه اللغة من مختلف جوانبها وإدراك قواعدها التي تمكننا من ضبط آلية التحليل والدراسة، وهذا ما سبق أن أشار إليه د. محند الركيك «لا أحد ينكر أهمية اللغة المرتبطة بالمكان والزمن فهي الجسر الرابط بين الإنسان بوصفه كائنا رامزا، والجغرافية بوصفها العامل الثابت من داخل التاريخ على حد تعبير المنظر والفيلسوف بسمارك»².

• **البعد الجغرافي:** يتجلى هذا البعد في تسمية الأماكن، وفي طبيعة الأشكال الموجودة في الوسط الطبيعي للمجال المدروس، من قبيل الأنهار ونوعية الجبال، وكذا نوع التربة، إضافة إلى أنواع الأشجار المفروسة...، وتختلف طبيعة تسمية اسم المكان من مساحة إلى أخرى أو من موقع لآخر نظرا لطبيعة أشكالها الخارجية المتميزة،

تعتبر منطقة الريف المغربي حقلًا خصبا للدراسات الطوبونيمية بمختلف مستوياتها، لكون هذه البقعة لم تنل حظها في هذا المجال ما عدا بعض المقالات والبحوث الجامعية التي يمكن عدها على أصابع اليد. وترجع أهمية الدراسات الأماكنية إلى أن هذا العلم يعد مصدرا مهما من مصادر البحث التاريخي واللغوي، وبناء عليه نقيس تطور اللغات واشتقاقاتها تاريخيا. وتمكننا دراسة هذه التسميات من التعرف على الملامح التاريخية للشعوب وحدود توسعها، وكذلك تتبع مناطق انتشارها ولغاتها وثقافتها.

تعتبر الدراسة الأماكنية مدخلا يمكن من خلاله اثبات الهوية الحقيقية والأصلية لمجال جغرافي معين بعيدا عن النزاعات الإيديولوجية والتدافعات السياسية، وسببلا لحفظ الموروث الإنساني في تجلياته التاريخية والحضارية. وبرجعنا إلى الطوبونيميا الريفية في وضعها الراهن نجدها وقد تعرضت للتغيير والتحريف تبعا لظروف عدة جراء تعاقب حضارات مختلفة من عصر لآخر، وهذا ما يحتم على الباحثين في هذا الميدان البحث والتحري عن الجذور التاريخية لأصل هذه التسميات.

وما اقتصرنا على قبيلة آيث ورياغل مجالا للدراسة دون غيرها من القبائل راجع إلى كوننا أبناء المنطقة، وكذا صعوبة الوصول إلى باقي المناطق نظرا لما يتطلبه ذلك من وقت وجهد، ناهيك عن ندرة المراجع في هذا المضمار.

ونحن بصدد إنجاز بحثنا هذا، تبين لنا أن الطوبونيميا ليست مجرد دراسة لاسم المكان وتوضيح معناه، بقدر ما هي نبش وتنقيب في الذاكرة الحضارية والتاريخية والثقافية للمجموعات البشرية. إذن فمثل هذه الدراسات تعتبر مصدرا غنيا لصون الذاكرة الجماعية وإعادة الاعتبار لها، لأن الأرض ليست مجرد عنصر جغرافي فحسب بل هي امتداد للذات الإنسانية.

ولابد من الإشارة إلى أن البحث في طوبونيميا قبيلة آيث ورياغل يحتاج لكثير من العمل بسبب شساعتها وكثرة التسميات وتنوعها، لذلك اقتصرنا على عينة بسيطة مشتملة على المسالك والهضاب والجبال والوديان والعيون وغيرها؛ وهذا الاختيار مؤسس على التنوع الكبير والغنى الذي يميزها عن باقي المناطق.

إذن، ما هي خصائص طوبونيميا هذه القبيلة؟ وما هي أهم مميزاتا؟ وما مدى صمودها في وجه مختلف العوامل التاريخية؟

مفهوم الطوبونيميا

كلمة الطوبونيميا أصل إغريقي، وهي مركبة من «topos» بمعنى

وانهم تناسلوا هناك لعدة أجيال⁵.

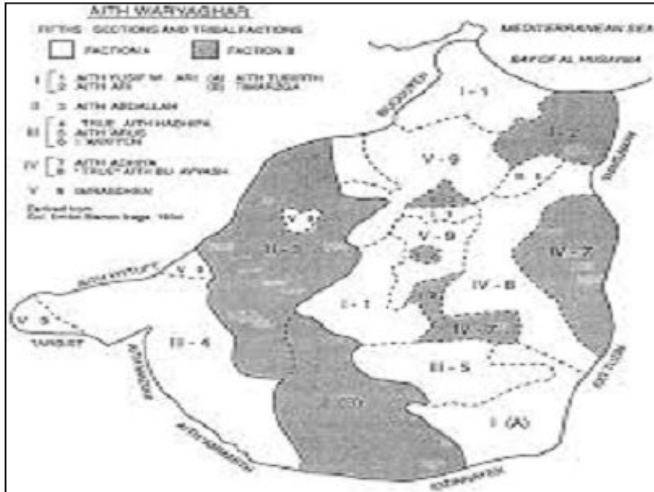
دور الطوبونيميا في تهيئة اللغة الأمازيغية

ليست هناك دراسة شاملة حسب الباحث في اللسانيات والطوبونيميا الأستاذ عبد العزيز العلاتي التي تتناول إعادة بناء ونسق لغوي أولي وبدائي مشترك بين فروع اللغة الأمازيغية، ويرى أنه نظرا لهذا الفراغ فإنه من الضروري الاهتمام بهذا الموضوع مما يكتسبه من أهمية كبيرة.

يقول الأستاذ علاتي في كتاب *Diachronie de Tamazight ou Berbère* والذي اشتغل أيضا على موضوع الطوبونيميا في شمال أفريقيا وجزر الكناري أن الطوبونيميا تعتبر منجما غنيا وكثرا ثميناً يمكن استغلاله في إعادة تشكيل وبناء قواعد متعلقة بالأمازيغية، ويمكن من تتبع تطور البنيات المتعلقة باللغة الأمازيغية وذلك لأن الطوبونيمات الأمازيغية هي الأكثر صموداً واستطاعت الحفاظ على بنياتها بعكس بنيات المكونات اللغوية الأخرى التي عرفت تطورا وتحولا أسرع بالمقارنة معها⁶.

المجال الجغرافي للدراسة

قبيلة آيث ورياغل



اختلفت آراء الدارسين حول انتماء سكان آيث ورياغل رغم أن أغلب المؤرخين يرجعون أصلهم إلى صنهاجة كأحمد البوعياشي وعبد الوهاب بن منصور. بينما نجد أن البادسي يعتبر أنهم زنتيين، إذن من الصعب تحديد أصل آيث ورياغل والصعوبة تعود إلى تضارب الآراء والروايات حول أصلهم بالتحديد، وفي هذا الصدد نجد أن التقي العلوي قد كتب: «وأما بنو ورياغل فقد اضطرب كلام ابن خلدون في أصولهم، فعندما كان يتحدث نفاذة جعلهم من بطون

لأن الاهتمام بأسماء الأماكن في البعد الجغرافي لمرجعيتها، هو اهتمام بأسماء أماكن ناطقة تفصح عن شكلها الطبوغرافي، وغطائها النباتي، ونشاطها الفلاحي، ومجاريها المائية، ومظهرها الجغرافي³.

• **البعد التاريخي:** يتجلى هذا البعد في اسم مكان ما في الذاكرة التاريخية القوية التي سجل بها هذا الاسم من خلال أحداث ووقائع ساهمت في بقائه حيا. وكم من اسم لمكان يكون حيز انتشاره صغيرا، لكن بفعل الأحداث والوقائع التاريخية التي شهدتها، تصبح رقعة انتشاره كبيرة⁴.

تاريخ الطوبونيميا بالمغرب

إن الوثائق والنصوص المكتوبة التي يمكن الاستعانة بها لدراسة الطوبونيميا قليلة، فالعلماء المسلمون قد أولوا هذا الموضوع عنايتهم، فصنعوا كتب أسماء البلدان، وحرصوا على ضبطها بالشكل أو العبارة والتبيين على أصواتها وبيان العلاقة بينها وبين التاريخ، قد يكون من الطريف البحث عن الأسباب التي جعلتهم يصدون عن الأصول المحلية لتغيير معاني تلك الأسماء، حيث ذهب بعضهم على سبيل المثال إلى تفسير معنى أسفي بقصة فتية ألقى بهم البحر بساحلها فتأسفوا، وذهب آخرون إلى في تفسير درعة أو «دار» إلى القول بأنها هي تدرع الأرض وهو قياسها بالذراع قصد تغريمها...

لقد أصدرت مصلحة الأشغال العمومية في إدارة الحماية الفرنسية للمغرب كتابا بعنوان «جرد أسماء مجموعات القبائل والفرق وأماكن التجمعات السكانية لمنطقة الحماية الفرنسية».

أما فيما يتعلق بالأبحاث التحليلية، هناك دراسة نشرها الباحث إيميل لاوست في مجلة *Revue des études Islamiques* العدد الثالث والرابع 1939، والأول والثاني من سنة 1940، وعنوانها «إسهام في دراسة طوبونيميا الأطلس الكبير».

ومما يدل على أصالة بحث إيميل لاوست فإن النتائج التي انتهى إليها اعتمدها جزئيا باحث آخر هو Jean Delleragia، الذي نشر بحثا مجلة هسرس تامودا عدد 1978-1979، درس فيها مجموعة من أسماء الأمكنة في الجنوب الغربي لفرنسا، والشمال الشرقي لفرنسا، تجد ب «توك» التي توصل لاوست أنها تدخل على أسماء مركبة تفيد الإشراف والعلو والتفاوت، ولما كان مجال انتشارها في المغرب هو المنطقة الواقعة جنوبي غرب مراكش، فقد رجح Delleragia، بعد أن استعان بمعطيات التاريخ المكتوب بأن مجموعة من المصامدة قد استوطنت مناطق البرانس الفرنسية والاسبانية ما بين القرنين الثامن والقرن الحادي عشر الميلادي،

1. الأسماء البسيطة

1. المفرد المذكر

أجدير: اسم مذكر مفرد، جمعه إجديرن أو إجدراون، تصغيره تجديرت

أكرمام: اسم مذكر مفرد، جمعه إكرمامن، تصغيره تكرمامت

أسكور: اسم مذكر مفرد، جمعه إسكورن، مؤنثه تاسكور

أزغان: اسم مذكر مفرد، جمعه إزغار أو إزغارن، تصغيره تازغار

أسمار: اسم مذكر مفرد، جمعه إسومار، تصغيره تسمارت

2. المفرد المؤنث

تايدا: اسم مؤنث مفرد، جمعها تايديوين

تفراست: اسم مؤنث مفرد، جمعها تيفراسين، مذكرها أفراس، يجمع على تيفراسين

تاماسينت: اسم مؤنث مفرد، جمعها تيماسينين، مذكرها أماسين، يجمع على تيماسينين

تامدجاحت: اسم مؤنث مفرد، مذكره أمدجاح، جمعه تيمادجاحين

تيكرت: اسم مؤنث مفرد، مذكره إيكير، جمعه تيكيرين

تغانينت: اسم مؤنث مفرد، جمعها تيغانيمين، مذكرها أغانيم، يجمع على إغانيم أو إغونام

3. الأسماء: جمع مذكر

إزمورن: جمع مذكر، مفردة أزمور، مؤنثه تازمورت

إمزورن: جمع مذكر، مفردة أمزور، مؤنثه تامزورت

إغميرن: جمع مذكر، مفردة أغمير، مؤنثه تاغميرت

إزكيرن: جمع مذكر، مفردة أزكير، مؤنثه تازاكيرت

إعكيين: جمع مذكر، مفردة أعكي، مؤنثه تاعكييت

إصوفين: جمع مذكر، مفردة أصوفي، مؤنثه تاصوفيت

4. الأسماء: جمع مؤنث

تيمكريوين: جمع مؤنث، مفردة تمكريت، مذكره أمكري

تاريوين: جمع مؤنث، مفردة تارا، ليس له مذكر

تيمادجاحين: جمع مؤنث، مفردة تمدجاحت، مذكره أمدجاح

مكلاتة، وعندما يتحدث عن صنهاجة أهل الطبقة الثالثة أدرجهم في هذا الفريق مرة أخرى»⁷.

اختلاف آراء المؤرخين حول أصل قبيلة آيث ورياغل بين صنهاجي وزناتي يمكن إرجاعه إلى كونهم درسوا هذه القبيلة في إطار الاتحاد البطنيوي القديم، وهو اتحاد كان يضم قبائل عديدة بعضها ينتهي إلى صنهاجة والبعض الآخر ينتهي إلى زناتة، ومن هنا كان بعض الدارسين يعتبره اتحادا زناتيا خالصا كالبادسي أو العكس أي يعتبر هذا الحلف أو الإتحاد زناتيا كابن خلدون، وفي الواقع، إن هذا الاتحاد يتكون من قبائل تنتمي إلى صنهاجة وقبائل أخرى زناتة⁸.

• موقع قبيلة آيث ورياغل

تقع قبيلة آيث ورياغل ضمن جبال الريف الأوسط وتشرف على البحر الأبيض المتوسط، وتحتل القبيلة موقعا مهما وسط مجموعة من القبائل الريفية، فمن جهة الشمال الشرقي تحدها قبيلة تمسمان، وقبيلة آيث توزين في الجنوب الشرقي، أما جهة الجنوب فتحدها كل من قبيلة كزناية وآيث عمارت وترجيسيت، في حين تحدها من جهة الغرب قبيلة آيث يطفيت ومن الجنوب قبيلة ابقوين من الشمال، أما حدودها الشمالية فهي عبارة عن ساحل يشرف على خليج الحسيمة.

• أصل تسمية ورياغل

اسم مركب من أداة النفي «أور» بمعنى «لا»، وفعل «غل» الذي يعرف عند عموم الأمازيغ ب: استدار ورجع وانتظر. والمعنى الأول هو الأقرب للمعنى الصحيح وار يقول: لا يعود للوراء أو لا يتراجع⁹.

أولاً: الطوبونيمات من خلال المقاربة اللسانية

تندرج تسمية الأماكن ضمن الدراسات اللسانية وذلك من خلال اعتبار العلم الجغرافي جزء من الوسط الاجتماعي تعالج فيه التسمية كظاهرة لغوية. وتتناول هذه الدراسة التسمية من خلال ثلاث مقاربات؛ لسانية ومعجمية وسوسiolسانية.

تسعى المقاربة اللسانية للطوبونيم إلى دراسته من حيث صرفه وجنسه، وكل ما يتعلق به على المستوى اللسني، وهذه المقاربة لها قوانينها ومعاييرها التي تحكمها.

ومن بين وظائف هذه المقاربة دراسة المصطلحات، وذلك بالكشف عن خواصها ومميزاتها.

فالمقاربة اللسانية عموما تقوم أساسا على دراسة الجوانب المتعلقة باللغة علميا وقد عرفت وهجها خلال القرن العشرين.

تيغانيمين: جمع مؤنث، مفردة تغانينت، مذكره أغانيم

تمشضين: جمع مؤنث، مفردة تامشضت، ليس لها مذكر

II. الأسماء المركبة

1. اسم + حرف + اسم

تاغزويت ن تاسا: يتكون من تاغزويت وهو اسم مفرد مؤنث، جمعه تيغزا، وحرف النون (ن) الذي يعتبر حرف التبعية، وتاسا: اسم مؤنث مفرد يجمع على شكل تاسيوين

إفري ن ووهار: يتكون هذا الطوبونيم من إفري: اسم مفرد مذكر، جمعه إفران، تصغيره تيفريت، ومن حرف النون (ن): حرف الملكية، وأوهار: اسم مذكر مفرد، جمعه أوهارن، مؤنثه توهارت.

رابع ن تاويريت: يتكون الطوبونيم من «رابع» وهي تحريف لكلمة الأربعة العربية، ونون الإضافة، وتاويريت كلمة مؤنثة، مذكرها أورير وتجمع على إويرين.

أكندورن ييرف: يتكون من اسم أكندور وهو الجحر، ونون الملكية، وإيرف: الخنزير

2. اسم + صفة

أغزار أمقران: يتكون الطوبونيم من أغزار: اسم مذكر مفرد، جمعه إغزران، تصغيره تاغزرت، وأمقران: صفة مذكر مفرد، جمعه إمقرانن، مؤنثه تامقرانت

أبريد أمعارض: يتكون من أبريد: اسم مذكر مفرد، جمعه إبريدن، تصغيره تابريدت، وأمعارض: صفة مذكر مفرد، جمعه إمعارضن، مؤنثه تامعارضت

3. ايت + اسم

ايت رحسن: تتكون هذه التسمية من ايت؛ توظف في الجموع، ورحسن: اسم علم

ايت عري: يتكون الطوبونيم من ايت وعري: اسم علم

ايت طعا: تتكون هذه التسمية من ايت وطعا: اسم جامد

ايت أوغرين: يتكون الطوبونيم من ايت وأوغرين: ذلك الجناح أو الجانِب

4. ايت + بو + اسم

ايت بوغياش: هذا الطوبونيم يتكون من «ايت» و«بو»: حرف الملكية، و«غياش»: اسم علم.

ايت بوخرف: تتكون هذه التسمية من ايت وبو ويخرف: اسم علم

ايت بوسته: يتكون الطوبونيم من ايت وبو وستة: من الأعداد.

ايث بورمق: يتكون من ايث ورمق: وهو تحريف للكلمة العربية المرق.

ثانيا: الطوبونيمات من خلال المقاربة المعجمية

تهدف دراسة الطوبونيم من زاوية المقاربة المعجمية إلى معالجته لغة واصطلاحا بالارتكاز في ذلك على المعاجم اللغوية.

يرى حلي خليل أن المعجمية فرع من فروع علم اللغة، يقوم بدراسة وتحديد مفردات أي لغة ودراسة معناها، ودلالاتها المعجمية بوجه خاص، وتصنيف هذه الألفاظ؛ استعدادا لعمل المعجم، فالمعجمية علم نظري يدرس المعنى المعجمي وما يتصل به من قضايا دلالية. فيما يذهب علي قاسم إلى اعتبار الدراسة المعجمية تتناول المفردات ومعانها في لغة واحدة أو في عدد من اللغات وتهتم بالمفردات من حيث الأساس وباشتقاق الألفاظ وأبنيتها ودلالاتها المعنوية والإعرابية والتعابير الاصطلاحية والمترادفات وتعدد المعاني¹⁰.

1. تسميات مرتبطة بالحيوانات

• دهارن أوباران: تلة ذكر الحجل (يعقوب)

• أزرون أوجيدار: صخرة النسر

• تاعرورت ن إغارداين: مرتفع الفئران

• تاران إثيرين: عين الحمام

• تازروت ن أوشاريو: صخرة القرش

• أسكور: ذكر الحجل

2. تسميات مرتبطة بالنباتات

• الحسيمة: كلمة محرفة أصلها الخزامى

• تايدا: شجر الصنوبر

• إزمورن: أشجار الزيتون

• تيغانيمين: القصب

• صباديا: نوع من النبات

3. تسميات مرتبطة بالتضاريس

• أغزار أمقران: النهر الكبير

• أذوز: الكثبان الرملية

• إجدياون: مكان يتواجد فيه الرمل

فهو ينظر في التغييرات التي تصيب بنية اللغة؛ استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة، مع بيان هذه الوظائف وتحديدها. إن دراسة اللغة من دون الرجوع إلى السياق الاجتماعي يعتبر ناقصاً؛ لأن إهمال السياق الاجتماعي قد يؤدي بكل فروع علم اللغة النظري (الوصفي والتاريخي والمقارن ... وسواها) إلى القصور؛ لذلك تعد الإنجازات والاكتشافات القيمة التي قدمها علم اللغة العام بمعزل عن السياق الاجتماعي قاصرة.

1. تسميات مرتبطة بالأحداث التاريخية

• بوكيدارن: تعود تسمية هذا الطوبونيم إلى مرحلة زحف جيش «بوحمارة» (الجيلالي الزرهوني) على قبائل الريف سنة 1908م، حيث قام هذا المتمرد على السلطة المخزنية بحرق قرية تفرسيت بكاملها، وبعدها أتى الدور على قبيلة تمسمان، إذ فرض على أهلها غرامات مالية، وبعدها علم أهل آيث ورياغل أن دورهم قادم، أعدوا فخاً لجيش «بوحمارة» بهذه المنطقة المتواجدة بحوض النكور-غيس، جعلها بركة من الأوحال وذلك بتعبيد المجاري المائية لتهري غيس والنكور إلى هذا الموقع، عند وصول جيش بوحمارة المتكون من آلاف الفرسان والخيول إلى هذا الأخير غرقوا في الأوحال، وهناك أهلك هذا الجيش الذي عاث فساداً في قبائل الريف.

وهناك رواية أخرى مفادها أن إبان حرب الريف التحريرية، كان المجاهدون بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي يعقدون اجتماعاتهم بسوق سيدي بوعفيف المتواجد بالمنطقة والذي كان يقام كل يوم أربعاء، وكانت بوكيدارن هي المكان الذي يربط فيه المجاهدون خيولهم.

• ايث بوسنة: (ذو الستة) يحكى أن ستون مقاتلاً خرجوا من هذه المنطقة للمشاركة في معركة ما ولم يعد منهم سوى ستة أحياء ولذلك سمي هذا المكان كذلك.

• بوميا: (ذو المئة) تقول الحكاية أن في أيام الريفوبليك «التناحر القبلي» أهل قبيلة آيت يطففت قتلوا تسع وتسعين شخصاً من قبيلة آيت بوفراج وبعدها قتلوا ذئبا (100=99+1) في هذا المكان ومن الحادث جاءت هذه التسمية.

2. تسميات مرتبطة بالأساطير

• أزرون تاسريت: (حجر العروس) تقول الأسطورة أن طفلاً صغيراً قضى حاجته، بينما كان في موكب عروس فاستعانت الأم برغيف (أو خبز) للتنظيف، فمسخ الله الموكب بكل من فيه، وحولهم إلى أحجار تلك الأحجار تسمى إلى يومنا هذا «أزرون تاسريت» أي حجر العروس يوجد قرب سد محمد بن عبد الكريم الخطابي

4. تسميات مرتبطة بالماء (الهيدرونيما)

- أكرام: بركة مائية، حوض مائي
- أغبار: غدير
- أرما: مرتع، مرعى
- تاندا حوا: منابع حواء
- تامستيزدكت: عين ماؤها صاف

5. تسميات مرتبطة بالأشخاص

- سيدي إدريس
- ايت يوسف وعلي
- ايت بوسنة
- تاوسارت: العجوز

6. أسماء مرتبطة بالحرف

- إدارازن: الحياكون
- إمزيرن: الحدادون
- إيمديازن: المغنون
- إضار افن: الإسكافيون
- إفدجاحن: الفلاحون

7. أسماء ذات أصل أجنبي

- باينتي: كلمة إسبانية (20)
- كالا إيريس: أصلها إسباني تعني قوس قزح
- مورويخو: أصلها إسباني تعني الرجل الموري العجوز
- طوريس: أصلها إسباني تعني الأبراج
- مورويخو: الموري العجوز
- كاسيا: أصلها إسباني تعني البيت الصغير
- كارا بونيتا: أصلها إسباني تعني الوجه الجميل.

ثالثاً: الطوبونيمات من خلال المقاربة السوسيولسانية

تعتبر السوسيولسانيات فرع من فروع اللغة التطبيقية، يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع؛ لأنه يتناول جوانب بنية اللغة، وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية وهو العلم الذي يبحث عن الكيفية التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع،

الجبل الذي يحمل اسمه، غير أن ما يهمنا على أية حال هو أنه كان غريبا عن المنطقة¹².

• **بوهيا:** من الأماكن التي يجهل حقيقة سبب تسميتها غير أن أغلب ما ذكره أهل المنطقة أن سبب التسمية يرجع لولية تسمى «فاطمة ن بوهيا» وهي أول امرأة وطئت قدمها هذه البقعة، غير أنه يجهل مصيرها ولا قبرها. هناك قصة أخرى تقول أن سبب التسمية يعود لكلمة «بوهيوف» الذي يعني الجوع، حيث أن الولي «عبد الرحمان المجدوب» هو الذي أعطى لهذا المكان هذه التسمية لعدم استضافته من قبل الأهالي.

• **جبل حمام:** لا يبدو أن أحدا يملك الجواب المقنع لهذا السؤال المحير؛ لماذا هذه المرتفعات اسما عربيا هو «جبل حمام» بدل المقابل الريفي «أردار إثبيرن»؟ حسب ديفيد هارت فإن الكتاب الإسباني 'ماهودندو' فإن تسمية جبل حمام تعود إلى المرابط عبد العزيز الغلبزوري، جد الشرفاء الغلبزوريين بالقبيلة الوريباغلية والذي كان محل إقامة، ثم أضحي مكانا يعيش فيه الحمام، لذلك سمي به.

وهناك قصة أخرى تقول بأن سيدي بوخيار كان يتعبد هناك، وكان أبوه في الشرق يرسل إليه رسائل عبر حمامة، وسمي بذلك¹³.

خلاصات

نخلص في النهاية إلى القول بأن مجال آيث ورياغل شأنه شأن المجالات عامة، حيث عرف استقرارا بشريا متنوعا يمزج بين المكون الأمازيغي والأجنبي، هذا ما أفرز لنا تغيرا في أسماء المجالات طوبونيميا، فعلى الرغم من كون المجال الشمال الإفريقي عرف استقرارا أمازيغا سابقا للمكونات الأخرى. إلا أن بعض المناطق التي سكنها الأولياء سميت بأسمائهم، وهذا ما نرصده من خلال ما توصلنا إليه.

من خلال العينة المدروسة يتبين لنا أنه رغم التغيير والتحريف الذي تعرضت له الطوبونيميا الوريباغلية لكنها احتفظت بصيغتها الأمازيغية مقارنة مع باقي المجالات الجغرافية بالمغرب.

كما نجد أماكن تعرضت أسماءها لتحريف بشكل تام كما هو الحال مع؛ صباديا، طوريس..

ناهيك عن طوبونيمات تعرضت لترجمة جزئية من قبيل رابع ن تاويرت؛ وهي كلمة مركبة من لفظتين [رابع] ذات الأصل العربي أي الأربعا، والنون للإضافة، أما لفظة [تاويرت] مذكورها [أويرير] [وتجمع على] [أويريرن]، ويطلق هذا الاسم على الأشكال التضاريسية المنعزلة وذات الارتفاعات المتوسطة ويقصد به التلة أو الهضبة،

بايث بوغياش إقليم الحسيمة.

• **رقنداث ن عزي:** لقد أورد دافيد هارت في كتابه «آيث ورياغر» الحكاية الآتية:

كان «عزي» ملكا يحكم المنطقة بين أربعاء تاويرت وشقران جنوب مدينة الحسيمة في مكان يسمى «أزرو ن ضمزا» أي صخرة «الغولة» وقد كرس حياته لمقاتلة البرتغاليين، ولم تعرف ديانتته الحقيقية. وكان ملكا جائرا. وذات يوم طلب من رعيته أن يحضروا له أنبات مليئة بالكسكس حيث تكون درجة حرارته معتدلة، ومن كانت وجبته أكثر أو أقل درجة حرارة مما ينتظره الحاكم فسيكون مصيره الموت، وكان يركب على ظهورهم كالحمير.

ضاق أحد الرجال ذرعا من تصرفات هذا الحاكم واسم هذا الرجل «بوغدار»، فاجتمع بأفراد القبيلة بعد أن أعد خطة الإيقاع بالملك. فوافق الحاضرون على الخطة. هكذا عندما ركب الملك وتوسطا الجسر، مال به «بوغدار» نحو النهر فمات الاثنان¹¹.

• **إجرماواس:** الرواية التي تتناولها الساكنة حول أصل تسمية إجرماواس تقول؛ أن شخصا قدم من قبلية أخرى كان يعمل لدى أحد ملاكي الأرض بالمنطقة لسنوات عديدة دون أن يتقاضى أجرا، ولما طلب هذا العامل من مستخدمه أن يدفع له ثمن عرق جبينه، اقتطع هذا الملاك جزءا من أرضه كثمن وراتب لهذا الأجير الذي خدمه لسنوات، وبهذا سميت هذه المنطقة بإجرماواس أي حقل أو فدان الدين.

• **ثمازكا:** هناك قصة ربما تروى لأول مرة، وتقول: قبل ثلاثة عشر قرنا من الزمن، جاء ولي صالح من مدينة فاس أخذها معه تمورا كزكاة، ثم قام بتوزيعها على سكان المنطقة، وبه سميت «تمر مزكي» حيث أن آيث ورياغل يضخمون للأصوات فقد نطقوها «ثمازكا».

3. تسميات مرتبطة بالأولياء الصالحين

• **سيدي بوخيار:** من أشهر الأولياء الصالحاء ببني ورياغل، ويوجد في أعلى قمة بجبل حمام، كان سيدي بوخيار وليا حقيقيا قادرا على التحليق في الهواء، لكننا لا نعرف عنه المزيد من المعلومات باستثناء كونه وليا بدون ذرية أو خلف، لا يعرف أيضا إذا ما كان ذا نسب شريف ينتهي إلى الدوحة النبوية. هناك اختلاف أيضا فيما يخص تحديد أصله رغم غلبة الرأي القائل بأنه قدم من تلمسان بالجزائر. وذلك لأن هذه المنطقة كانت تعتبر دائما كمنشأ للأولياء الكبار، وهناك من يذهب إلى القول بأن أصله من منطقة الغرب، في حين يرى RODRIGUEZ PADILLA أنه قد يكون صحراويا جاء إلى الريف بدون عائلة أو خدم أو متاع، ليستقر كناسك متعبد في

6 - ABDELAZIZ ALLATI : Diachronie de Tamazight ou Berbere, publication de l'université Abdelmalek Essaadi. P ; 107

7 - عبد الوهاب بن منصور: «قبائل المغرب» المطبعة الملكية، الجزء الأول

8 - التقي العلوي: «أصول المغاربة، القسم البربري» مجلة البحث العلمي، عدد: 27

9 - Salem Chaker : revue des mondes musulmans et de la méditerranée, année 1983

10 - علي القاسمي: علم اللغة وصناعة المعجم، طبعة 1991، ص: 3

11 - دافيد هارت: آيث ورياغر قبيلة من الريف المغربي -دراسة اثنوغرافية وتاريخية-، ترجمة: محمد أونيا / عبد المجيد عزوزي / عبد الحميد الرايس، الناشر: جمعية صوت الديمقراطيين المغاربة في هولندا، الطبعة الثانية، سنة: 2016، ص: 270

12 - دافيد هارت: آيث ورياغر قبيلة من الريف المغربي -دراسة اثنوغرافية وتاريخية-، م س، ص: 331-332

13 - نفسه، ص: 331-332

وأطلق عليها هذا الاسم من طرف الساكنة من خلال طبيعة موقعه، أما الكلمة الأولى فهي نسبة إلى السوق الأسبوعي الذي يقام كل يوم أربعاء بالمنطقة.

وفي مواقع نجد أن التعريب يطال اللفظة الأمازيغية «آيت» التي تعوض ب «بني» أو «أولاد»، ومن ذلك؛ بني حذيفة، بني بويعاش، أولاد أمغار... بالمقابل نجد بلدة آيت قمرة قد احتفظت بلفظة «آيت» الأمازيغية وعرب نصفها الثاني، وهذا الطوبونيم اسم مركب من كلمتين [آيث] للنسب و[قمرة] كلمة دخيلة من العامية المغربية، وفي اللغة العربية يوجد فقط مذكرها القمر.

كل هذه التغييرات التي طرأت على الطوبونيمية الورياغلية لا تنفي احتفاظ قرى ومدائر بتسمياتها الأصيلة من قبيل: تماسينت، أجدير، أزغار...

لا بد من الإشارة إلى أن في بحثنا هذا، لم نتمكن من تحديد دلالات ومعاني بعض الطوبونيمات من مصادر البحث التي اعتمدها، وكمثال على ذلك: أركوز، ذوايسكينت، دهار إكيكي، أشكاوكاو، رمضا...

كما تجدر الإشارة إلى أن الدراسات المنجزة في هذا المجال تبقى فقيرة بالرغم من أهميتها، وإن وجدت يلاحظ أنها تبقى وصفية ولا تتناول الطوبونيم من خلال كل مقارنة على حدة، لهذا فمجال الدراسات الطوبونيمية يبقى خصباً للبحث والتناول.

الهوامش:

1- CH. Rostaing » Dictionnaire et myologique des noms de lieux en France.

2- محند الركيك، «دلالات ومعاني أسماء الأمكنة في بعض مناطق غياثة»، ضمن كتاب تازة ومحيطها، الموارد الترابية وافاق التنمية المستدامة، أعمال ندوة، تنسيق وتقديم عبد الواحد بوبرية وإبراهيم عمري، منشورات ماريا، 2013

3 - محمد البركة- عبد المالك ناصري- سعيد بنحمادة- عبد اللطيف الخمار- رضوان غزال. الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، مقدمات في الفهم والمنهج والعلائق، إفريقيا الشرق. الدار البيضاء الطبعة الأولى 2012. ص 32.

4 - نفسه، ص: 37

5 - أحمد التوفيف: في تاريخ المغرب، الطبعة الأولى 2019، ص: 112، 113، 114